الفتنة
دراسة في ضوء نهج البلاغة

م.د عدنان يوسف البطاط
م.م أركان حسين التميمي
(كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الإسلامية الجامعة)

مقدمة

الكثير الكثير من نتاجات الأمم الثقافية تتحدد بحدود المكان وتتقيد بقيود الزمان لأنها وليدة ذلك المكان، أولأنها ولدت لتحاكي حاجة مقطع معين من الزمان ...

والقليل القليل من النتاج الثقافي الإنساني يقفز على حدود المكان وقيود الزمان، ويتحدد مع قضايا الإنسان في أكثر من زمان ومكان ...

الكثير الكثير من النتاج الثقافي للأمم لو بقي يبقى كتراث يحكي نتاجها وتجاربها الخاصة ...

ولكن القليل القليل من النتاج الثقافي يتحول إلى ملكٍ مشاع لكل الإنسانية ... لا يمتدّ له شبحُ الإضمحلال والفتور والخفوت...

فيبقى قنديلاً في نهج الإنسانية ...

ونهج البلاغة من الآثار القليلة التي لا تزال غضّةً طريّة التي تقفز على الزمان ولا تتحدد بمكان ...

نهج البلاغة، هذه الثروة الكبيرة، والمفخرةُ الإنسانية، مورد اعتزاز المسلمين، ولنصوصه الوقع الكبير في فكرهم ووعيهم، بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

بل يجب أن يكون مورد اهتمام الإنسانية واعتزازها لأنه من الأعمال التي:

لم توضع لفريقٍ دون فريق، ولم يراع فيها شعبٌ دون شعب، وإنما خوطب بها الإنسان أنى وجد وكان، ولأنها تلامس كل قلبٍ، وتضمّد كلّ جرحٍ، وتكفكف كل دمعةٍ، كانت ملكاً للناس أجمعين، وكانت خالدة عند الناس أجمعين

ولذا بغية الانتهال من هذا المنهل الصافي العذب سنحاول أن نلقي الضوء على موضوع مهم، موضوع يلامس الواقع، وتكتض به الحياة، ويعترض حياة الإنسان في أكثر من موقع، إنّه الفتنة، هذا الأمر الذي يظهر بمظاهر متعددة، وينعكس في مرايا متنوعة.

نحاول في هذا البحث أن نجمع ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الفتنة لتتجلى لنا الصورة واضحة كما شخّصها عليه السلام، ونتبين مخاطرها وآثارها ونتعرف على سبل علاجها، معتمدين في ذلك على ما أورده الشريف الرضي رحمه الله من نصوص اختارها من كلام سيد الوصيين عليه السلام وجمعها في كتاب سماه نهج البلاغة.

المحور الأول: الفتنة في الإطار النظري

أولاً: الفتنة لغةً

قال الجوهري في صحاحه: " الفِتْنَةُ: الامتحان والاختبار. تقول: فَتَنْتُ الذهبَ، إذا أدخلتَه النار لتنظر ما جودته. ودينارٌ مَفْتونٌ. قال الله تعالى: " إنَّ الذين فَتَنوا المؤمنين " . ويسمَّى الصائغُ الفتَّان، وكذلك الشيطان. وفي الحديث: " المؤمن أخوالمؤمن يسعهما الماء والشجر ويَتَعاونانِ على الفَتَّانِ " . وقال الخليل: الفَتْنُ: الإحراق. قال الله تعالى: " يوم هم على النارِ يُفْتَنونَ " . وورِقٌ فَتينٌ، أي فضَّةٌ محرقة. ويقال للحَرَّةِ فَتينٌ، كأنَّ حجارتها مَحْرَقةٌ. وافْتَتَنَ الرجل وفُتِنَ، فهومَفْتونٌ، إذا أصابته فِتْنَةٌ فذهب ماله أوعقله، وكذلك إذا اخْتُبِرَ. قال تعالى: " وفَتَنَّاكَ فُتوناً " . والفُتونُ أيضاً: الافْتِتانُ، يتعدَّى ولا يتعدَّى، ومنه قولهم: قلبٌ فاتِنٌ، أي مُفْتُتِنٌ. قال الشاعر:

رخيمُ الكلام قطيعُ القيا ... مِ أمسى فؤادي بها فاتِنا "[١]

وقال ابن منظور في لسان العرب عن ابن الأَعرابي: " الفِتْنة الاختبار والفِتْنة المِحْنة والفِتْنة المال والفِتْنة الأَوْلادُ والفِتْنة الكُفْرُ والفِتْنةُ اختلافُ الناس بالآراء والفِتْنةُ الإحراق بالنار وقيل الفِتْنة في التأْويل الظُّلْم .. "[٢]

وهذه كلها استعمالات للفتنة، قال الراغب : أصل الفَتْن إدخالُ الذهب النارَ لتظهر جودَته من رداءته ، واستعمل في ادخال الإنسان النارَ. قال تعالى: {يوم هم على النار يفتنون} [الذاريات: ١٣]، {ذوقوا فتنتكم} [الذاريات:١٤]، أي: عذابكم.

فسّر علماءُ اللغة الفتنة بالابتلاء من إذابة الذهب والفضة بالنار لتميّز الرديء من الجيد. وهناك من يذهب إلى أن معنى الاختبار غير ملحوظ في لفظ الفتنة وإنما الملحوظ هو ما في الإذابة من الاضطراب والمرَج.

---

[١] . الجوهري، الصحاح في اللغة ، ج ٢ ص ٣٣.
[٢] . ابن منظور، لسان العرب : ج ١٣ ص ٣١٧.

ثانيا: الفتنة اصطلاحا : اضطراب الأحوال وتشتت البال وحالة الشغب والوقوع في الحيرة والشعور بالخوف والخطر المعنوي أو المادي ، وتخصص بحسب ما تضاف إليه، فيقال: فتنة المال وفتنة الدين وفتنة الرخاء.

ويختلف تعامل الناس مع الفتنة في ثباتهم وتساقطهم، أي تختلف أحوالهم في حالة الإضطراب وعدم الاستقرار وفقدان النظم ولذلك أصبحت الفتنة ميداناً لاختبار الناس وظهور قدراتهم في التعامل مع الظروف غير الطبيعية.

ثالثاً: المعنى الوارد للفتنة في نهج البلاغة

ورد لفظ الفتنة في نهج البلاغة بمعنى الاختبار والامتحان ، وهذا الاختبار قد يكون بالدنيا أو بالأموال أو الأولاد أو المناصب أو المواقف وهكذا ، فالفتنة لا ترتدي ثوباً واحداً ، بل كل يوم هي في شان .. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية:

"**فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلاَبِيبَهَا، وَأَغْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.**

وَقامَ إ لَيهِ رَجُلٌ وَقالَ :

أَخْبِرْنا عَنِ الْفِتْنَةِ، وَهَلْ سَأَلْتَ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهِ علَيْهِ وَآلِهِ؟

فَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحانَهُ قَوْلَهُ: (الم أَحَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِه بَيْنَ أَظْهُرِنا، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِى أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِها؟

قالَ: يا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِى سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِى ....

وَقالَ: يا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِى بِأَمْوالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأمَنُونَ سَطْوَتَهُ، قَيَسْتَحِلُّونَ حَرامَهُ بِالشُّبُهاتِ الْكاذِبَةِ وَالأَهْواءِ السّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبا بِالْبَيْعِ.

قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِأَيِّ الْمَنازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟

فَقالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ. "[٣]

قال ابن ميثم البحراني في شرحه للنهج : "هذا الخبر رواه كثير من المحدّثين عنه عليه السلام أنّ النبي قال له : انّ اللّه قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين . فقلت : يا رسول اللّه ما هذه الفتنة الّتي كتب

[٣] . الخطبة رقم: ١٥٤

علي فيها الجهاد ؟ قال : قوم يشهدون ألاّ إله إلاّ اللّه ، وأني رسوله ، وهم مخالفون للسنّة . فقلت : فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد . قال: على الإحداث في الدين ، ومخالفة الأُمة.

فقلت : انّك وعدتني الشهادة . فاسأل اللّه أن يعجّلها إليّ بين يديك . قال : فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ؟ وأمّا أنّي وعدتك الشهادة وستستشهد ، تضرب على هذه فتخضب هذه . فكيف صبرك إذن ؟ فقلت : ليس ذا بموطن صبر ولكنه موطن بشرى وشكر . قال : أجل . أصبت . فأعدّ للخصومة . فإنّك مخاصم . فقلت : لوبيّنت لي قليلا . فقال : إنّ امّتي ستفتتن من بعدي . فتتأوّل القرآن ، وتعمل بالرأي ، وتستحلّ الخمر بالنبيذ . والسّحت بالهديّة ، والربا بالبيع ، وتحرّف الكلام عن مواضعه ، وتغلب كلمة الضلال ، فكن حلس بيتك حتّى تقلّدها . فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور . وقلّبت لك الامور، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم الأولى . فقلت : يا رسول اللّه فبأيّ المنازل هؤلاء المفتونين أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة . فقال : بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل ." [٤]

المحور الثاني: مناشيء الفتنة والعوامل المساعدة على ظهورها

للفتنة عواملُ وظروف ومناشيء تساعدها على الظهور أو توجدها وتصنعها ، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام المجموع في نهج البلاغة الحديث عن هذه العوامل والمناشيء ، فمنها:

١ – الشيطان

يقال للشيطان الفتّان لأنه بنص القرآن الكريم فتن أبوينا آدم وحواء فأخرجهما من الجنة ولا زالت محاولاته في فتْن إبنائهم في كل زمان ومكان : **(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ)** الأعراف :٢٧

في ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**أطاعُوا الشَّيْطانَ فسَلكَوا مَسالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَناهِلَهُ، بِهِمْ سارَتْ أَعْلامُهُ، وَقامَ لِواؤُهُ فِي فِتَنٍ داسَتْهُمْ بِأَخْفافِها، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِها وَقامَتْ عَلى سَنابِكِها، فَهُمْ فِيها تائِهُونَ حائِرونَ جاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دارٍ وَشَرِّ جِيرانٍ ..**" [٥]

وقال عليه السلام: "**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْأَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْأَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُوالَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .**"[٦]

---

[٤] . البحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٥.
[٥] . الخطبة رقم ١
[٦] . الخطبة رقم ٥٠

وقال عليه السلام: "**إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّى لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوها عَلَى أَنْفُسِكُمْ.**" [٧]

٢ – الدنيا

الدنيا منشأُ الفتن وطالما سقط الإنسان في شِباك فتنها وحبائل غرورها، ولهذا حفل النهج بالحديث عن الدنيا وفتنها، ليعي الإنسان مكامن الخطر، ويتقي ما استطاع مزالقها ومهالكها، **قال عليه السلام:** "**إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ، أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟ أَيْنَ الْاُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ ها هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ.**

وَاللَّهِ لَوكُنْتِ شَخْصا مَرْئِيّا، وَقَالَبا حِسِّيّا، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّهِ، فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَاُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي ، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ." [٨]

وقال عليه السلام: "**وَلاَ تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلاَ تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلاَ تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلاَ تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلاَ تُفْتَنُوا بِأَعْلاَقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلاَقَهَا مَسْلُوبَةٌ.**" [٩]

وقال عليه السلام: "**ثَمَرُها الْفِتْنَةُ وَطَعَامُها الْجِيفَةُ..**" [١٠]

٣ – الغنى

الغنى منشأٌ آخر من مناشيء الفتنة، وفخٌ آخر من فِخاخها، وخطورته في أنه محببٌ ومزينٌ للنفس، بل ونسعى من أجله.

قال عليه السلام وهو يصف الدنيا: "**مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُها فَنَاءٌ ، فِي حَلاَلِها حِسابٌ وَفِي حَرَامِها عِقابٌ ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ..**" [١١]

وقال عليه السلام: " **وقال (رسول الله ص): يا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِى بِأَمْوالِهِمْ..** "[١٢]

٤. الفقر

---

[٧] . الخطبة رقم ١٢٠
[٨] . كتاب رقم ٤٥
[٩] . الخطبة رقم ١٩١
[١٠] . الخطبة ٨٨
[١١] . الخطبة رقم ٨١
[١٢] . الخطبة ١٥٦

ليس الفقير بمنأى عن الفتنة في فقره، بل قد يكون الفقر فتنة، إذ لا يعني كون الغنى فتنة أن الفقر لا يكون كذلك، كيف ذاك وقد تمهد أجواء الفقر لفتنة يقع فيها الفقير، ولذا نقرأ في دعاء أمير المؤمنين علي عليه السلام : "**اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسارِ، وَلا تَبْذُلْ جاهِي بِالْإِقْتارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرارَ خَلْقِكَ، وَاءُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي..** "[١٣]

٥ – الأولاد والزوجة

الأموال والأولاد فتنة بنص القرآن الكريم وكذلك الزوجة ، ولذا نجد في وصف أمير المؤمنين عليه السلام لنبي الله عيسى عليه السلام أنه يقول :

"**وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.**"[١٤]

وَقَالَ عليه السلام : وَقَدْ عَزَّى الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ ابْنٍ لَهُ: "**يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحِمُ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ.**

يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ.

يَا أَشْعَثُ، ابْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَبَلاَءٌ وَفِتْنَةٌ، وَحَزَنَكَ وَهُوَثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ." [١٥]

وقال عليه السلام: "**فَإذا رَأى أحَدُكُمْ لِأخِيهِ غَفِيرَةً فِي أهْلٍ أومَالٍ أونَفْسٍ فَلا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ..**"[١٦]

وتحدّث عليه السلام عن المال والولد عندما يقيّم الرضا والسخط الإلهي على ضوئهما ، فقال: **فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالاِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالاِقْتِدَارِ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (أيَحْسَبُونَ أنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ، بَلْ لا يَشْعُرُونَ) فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.**"[١٧]

وقال عليه السلام : "**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ) لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إلا وَهُوَمُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ: وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كانَ سُبْحانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ،**

---

[١٣] . كلام رقم ٢٢٤
[١٤] الخطبة رقم ١٦٠
[١٥] . الحكمة رقم ٢٨٣
[١٦] . الخطبة رقم٢٣
[١٧] . الخطبة رقم ١٩٢

وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعالَ الَّتِي بِها يُسْتَحَقَّ الثَّوابُ وَالْعِقابُ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِناثَ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمالِ وَيَكْرَهُ انْثِلامَ الْحالِ."[١٨]

٦ – المنصب

المناصب أرضية خصبة للافتتان، وصاحب المنصب في اختبار صعب وخطير، و"**الولايات مضامير الرجال**"[١٩] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

"**وَرُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِما مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشِّبَامِيِّينَ، فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الشِّبَامِيِّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ، فَقَالَ عليه السلام لَهُ:**

أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ؟ أَلاَ تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّنِينِ؟

وَأَقْبَلَ حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَقَالَ له :

ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ." [٢٠]

٧– اتّباع الهوى

قال عليه السلا محذراً من اتباع الهوى وابتداع الأحكام أنهما بداية وقوع الفتن، فقال عليه السلام:

"**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ..**"[٢١]

٨ – الجهل

الجهل أرض خصبة لشيوع الفتن ، وصانعو الفتن لا يجدون صعوبة في ترويج بضاعتهم في بيئة الجهل وعدم الوعي ، ولذا وصف أميرُ المؤمنين عليه السلام أهل الجاهلية بالخابطين في الفتنة، فقال : "**بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ قَدِ اِسْتَهْوَتْهُمُ اَلْأَهْوَاءُ وَاِسْتَزَلَّتْهُمُ اَلْكِبْرِيَاءُ وَاِسْتَخَفَّتْهُمُ اَلْجَاهِلِيَّةُ اَلْجَهْلاَءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ اَلْأَمْرِ وَبَلاَءٍ مِنَ اَلْجَهْلِ فَبَالَغَ ص فِي اَلنَّصِيحَةِ وَمَضَى عَلَى اَلطَّرِيقِ وَدَعَا إِلَى اَلْحِكْمَةِ وَاَلْمَوْعِظَةِ اَلْحَسَنَةِ...**"[٢٢]

---

[١٨] . الحكمة ٩٠
[١٩] . الحكمة رقم ٤٣٠
[٢٠] الحكمة رقم ٣١٣
[٢١] . الخطبة رقم ٥٠
[٢٢] . الخطبة: ٩٣

٩- الثناء والإطراء

وهما عند أمير المؤمنين عليه السلام من مناشىء الفتنة، يسقط فيها من يستهويه الثناء ويستخفه الإطراء.

قال عليه السلام : "**رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.**"[٢٣]

وقال عليه السلام في اختيار الحاكم: "**مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ.**"[٢٤]

فالإطراء أرضية مهيَّئة للوقوع في الفتنة وفرصة يرصدها الشيطان ليوقع صاحبَها في حبائله، قال عليه السلام:

"**وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِ..**"[٢٥]

١٠ – الكبراء المتكبرون

قال عليه السلام في الخطبة رقم ٢٤٣ التي تتضمن ذم إبليس وتركه للسجود لآدم عليه السلام ، وأنه أوّل من أظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته: "**أَلا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طاعَةِ ساداتِكُمْ وَكُبَرائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجاحَدُوا اللَّهَ ما صَنَعَ بِهِمْ، مُكابَرَةً لِقَضائِهِ، وَمُغالَبَةً لِآلائِهِ! فَإِنَّهُمْ قَواعِدُ أَساسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعائِمُ أَرْكانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزاءِ الْجاهِلِيَّةِ.**"

١١- عدم الحصانة من الفتن :

لا شك أن عدم معرفة مناشىء الفتن ومساربها سيكون سبباً مهماً في الوقوع فيها، والتعرف عليها ومعرفة مداخلها ومسبباتها سيكون عاملاً في تجنبها، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يوصي ولده الحسن عليه السلام: "**أويسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ..**"[٢٦]

المحور الثالث: خصائص الفتنة وسماتها

للفتنة خصائص وسمات وصفات ينبغي للإنسان الإطلاع عليها بغية تشخيص الفتنة والنجاة منها ، وعدولا تعرف عنه شيئاً لا يمكن أن تقاتله ، من هنا تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك الخصائص والسمات في كلمات تفرّقت في نهج البلاغة يُمكن لنا أن نجمعها هنا بنقاط:

---

[٢٣] . الحكمة: ٤٥٤
[٢٤] . كتاب رقم ٥٣
[٢٥] . كتاب رقم ٥٣
[٢٦] . كتاب رقم ٣١

١ – الفتنة سنة من سنن الحياة

وهذا ما صرّح به القرآن الكريم الذي اعتبر الفتنة سنة من سنن الحياة عليها يقوم التمايز بين الناس وهوبمثابة الامتحان الذي يؤديه الطلاب في المدارس ليقيموا على ضوئه ، قال تعالى : (**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**) (العنكبوت: ٢)، وقال تعالى: (**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**) (الأنبياء: ٣٥)

وفي نهج البلاغة كذلك نلحظ الفتنة سنة دائمة وسارية في مختلف الأعصار والأمصار، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: "**أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلا فِيهَا وَلاَ يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً.**"[٢٧]

٢– الفتنة متلونة في مظاهرها مختلفة في طرقها

الفتنة لها وجوهٌ وألوان ففتنة في الدين وفتنة في الدنيا، وفتنة في الأموال وفتنة في الأولاد، وفتنة دينية واجتماعية وأُخرى سياسية واقتصادية .. وهكذا ألوان من الفتن، وهي مع ذلك تأتي بشكل متخفٍّ يصعب تشخيصه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية: "**فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلاَبِيبَهَا، وَأَغْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.**"[٢٨]

قال ابن أبي الحديد : "يقال لبست عليه الأمر لبسا أي خلطته والمضارع يلبس بالكسر .. أغدفت المرأة قناعها أي أرسلته على وجهها وأغدف الليل أي أرخى سدوله وأصل الكلمة التغطية "[٢٩].

٣– الفتنة متلبسة بالحق

قال أمير المؤمنين عليه السلام : "**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوأَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوأَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُوالَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى .**"[٣٠]

ومن تلبّس الفتنة بالحق أن رموزها قد يكونون بصبغة الدين وأماكنها أماكن تمثّل الدين ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

---

[٢٧] . الخطبة رقم ٦٢
[٢٨] . كتاب رقم ٦٢
[٢٩] . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ٢٥.
[٣٠] . خطبة رقم ٥٠

"يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلا رَسْمُهُ وَمِنَ الإِسْلامِ إِلا اسْمُهُ مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ." [٣١]

٤- الفتنة غير واضحة المعالم في بدايتها وتشخص وتعرف في نهايتها

قال عليه السلام: **"إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَدا، وَيُخْطِئْنَ بَلَداً."**[٣٢]

فالفتنة تتخفى ولا تأتي بشكل واضح مُعلن: **"وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ."**[٣٣]

وهكذا نلحظُ الفتنة في إقبالها وبدايتها غيرَ واضحة صعبةَ التشخيص ، وهنا تكمن صعوبة التعامل معها ، فعدم الوضوح يزيد الطينَ بِلّة ، وهناك وصف دقيق وجميل لأمير المؤمنين عليه السلام لأجواء الفتنة وخفائها ، يقول عليه السلام: **"وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ، عادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ."**[٣٤]

وأغباش جمع غَبَش هوبقايا ظلام الليل عندما يتمازج مع ضوء الصباح ، فالفتنة لا يتوضح فيها الطريق بل هناك ظلامٌ يحول دون الرؤية الواضحة.

٥- الفتنة تبدأ قوية وتنتهي ضعيفة

قال عليه السلام "شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلاَمِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلاَمِ."[٣٥]

قال ابن أبي الحديد في شرحه : إنها تبدوفي أول الأمر وأربابها يمرحون ويشبون كما يشب الغلام ويمرح ثم تئول إلى أن تعقب فيهم آثارا كآثار الحجارة. فأتباعها لهم نشوةٌ في أولها ولهم حسرة وكبوة في آخرها..

٦- قادة الفتنة والدعاة لها هم إرجاسُ الأُمة ودعاة الضلال

---

[٣١] . الحكمة ٣٦٩
[٣٢] . الخطبة رقم ٩٢
[٣٣] . الخطبة رقم ١٥١
[٣٤] . الخطبة رقم ١٧
[٣٥] . الخطبة رقم ١٥١

ففي خطبته التي تَشْتَمِلُ عَلى ذِكرِ الْمَلاحِمِ ، قال عليه السلام: "**تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ.**"[٣٦]، وقال عليه السلام واصفاً الفتنة: "**قَدْ خاضُوا بِحارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ..**"[٣٧]

وقال عليه السلام أيضاً: **فَوَالذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِه ما كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلا جَهِلَ السَّامِعُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشّامِ، وَفَحَصَ بِراياتِهِ فِي ضَواحِي كُوفانَ، فَإِذا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَها بِأَنْيابِها، وَماجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْواجِها وَبَدا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُها، وَمِنَ اللَّيالِي كُدُوحُهَا.**

فَإِذا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقامَ عَلى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ راياتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ." [٣٨]

وقال عليه السلام في موضع آخر: **يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ ..**" [٣٩]، ومما استشهد به التستري في شرحه هذه العبارة " وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجاسُ " ، أن نقل عن المروج: قال المنصور يوما بعد قتل محمّد وإبراهيم ، لجلسائه : تا للّه ما رأيت رجلا أنصح من الحجّاج لبني مروان . فقام المسيب بن زهير الضبي . فقال : ما سبقنا الحجّاج بأمر تخلفنا عنه ، واللّه ما خلق اللّه على جديد الأرض خلقا أعزّ علينا من نبيّنا ، وقود أمرتنا بقتل أولاده ، فأطعناك وفعلنا ذلك . فهل نصحناك أم لا ؟ قال له : اجلس لا جلست.

٦- قادة الفتنة يبدأون متكاتفين وينتهون متباغضين

قال أمير المؤمنين عليه السلام: "**يَتَوَارَثُهَا اَلظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ اَلتَّابِعُ مِنَ اَلْمَتْبُوعِ وَاَلْقَائِدُ مِنَ اَلْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اَللِّقَاءِ ..**"[٤٠]

٧- أجواء الفتنة تتميز بالصخب والضوضاء والادعاءات الكثيرة

قال عليه السلام واصفاً الفتنة:" **مِرْعادٌ مِبْراقٌ** "[٤١]

---

[٣٦] . الخطبة رقم ١٠٠
[٣٧] . الخطبة ١٥٤
[٣٨] . الخطبة رقم ١٠٠
[٣٩] . الخطبة رقم ١٥١
[٤٠] . الخطبة رقم ١٥١
[٤١] . الخطبة رقم ١٥١

٨- الفتنة شديدة مرهِقة متعِبة

قال عليه السلام واصفاً شدة الإرهاق فيها:" **كاشِفَةٌ عَنْ ساقٍ** "[٤٢]

٩ – الفتنة تعمّ ولا تخصّ

وهذا ما حذر منه القرآن الكريم بقوله: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُ وا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال:٢٥)

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدّث عن حال الناس أثناء الفتنة: " **بريئُها سقيمٌ ، وظاعنُها مُقيمٌ** "[٤٣]، يقول المحقق الشيخ محمد تقي التُّستري في شرحه القيّم: وإنّما حكم عليه السلام بكون بريئِها سقيماً ، وظاعنِها مقيماً بمعنى عموم الفتنة ، وعدم نجاة أحد منها أولأنّ الظلمة كزياد، والحجّاج ، وغيرهما كانوا يأخذون البري ء من الجناية بالسقيم بها ، والمقيم بالمرتحل .

وقد نتوقف هنا ونحن نقرأ إخبارات عليٍّ عليه السلام عن فتنة بني أُمية وهويقول عنها : "**أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ اَلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وَأَصَابَ اَلْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ اَلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا ...**"[٤٤]

ونتساءل كيف تكون فتنة بني أُمية خاصة في بلائها ولم يعمّ بلاؤها وضررها على الأُمة جميعها ؟

وفي الجواب نقول: هذه الفتنة لم تكن مختصرة في آثارها على شريحة خاصة ومكان خاص، ولذلك قال: عمّت خُطتُها، فهي في سعتها وحدودها عامة، فكل الأُمة عانت من فتنة بني أُمية وإلى الآن فتنة بني أُمية وخط بني أُمية يُلقيان بظلالهما على حياة الأُمة.

ولكن بلاء هذه الفتنة انصبّ على أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كما قال ابن أبي الحديد: " ومعنى قوله عمت خطتها وخصت بليتها أنها عمت الناس كافة من حيث كانت رئاسة شاملة لكل أحد ولكن حظ أهل البيت ع وشيعتهم من بليتها أعظم ونصيبهم فيها أوفر".

وهذا البلاءُ ضريبة البصيرة والهدى في الفتنة، قال عليه السلام: "**وَأَصَابَ اَلْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ اَلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا..**"[٤٥]

١٠- الداخل في الفتنة يفقد القرار الصائب :

---

[٤٢] . الخطبة رقم ١٥١
[٤٣] . الخطبة رقم ١٥١
[٤٤] . الخطبة رقم ٩٢
[٤٥] . الخطبة رقم ٩٢

قال عليه السلام: "**وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا..**"[٤٦]، وقال عليه السلام : " **فهم فيها تائهونَ حائرونَ جاهلونَ** "[٤٧]، وقال أيضاً: " **فتنةً تترك الحليمَ حيرانَ** "[٤٨]

وقال عليه السلام: "**أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.**"[٤٩]

أماكن الفتنة

عند الحديث عن أماكن الفتن علينا أن نميّز بين الأماكن التي تنزلُ فيها الفتن والأماكن التي تكون مصدراً للفتن، فالأماكن التي تنزل فيها الفتن لا يُمكن تحديدها بأماكن خاصة ولكن يمكننا القول عموماً كل مكان يمكن أن يتوفّر على عوامل نهوض وبروز الفتنة فسيكون ساحةً خصبة لها ، وعندما يكون المكان رخواً غيرَ محصّن من الفتن فمن الطبيعي أنه سيكون مرتعاً جيداً للفتن.

في الحقيقة ليس للفتن سير واضح فقد تحلّ في مكان ولا تحل بآخر قريب منه ، ولذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

« **إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحُمْنَ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً**»[٥٠]

يقول التستري: أي كما أن الرياح الشديدة تصيب بلدا وتخطى ء بلدا كذلك الفتن يصبن بلدا فيبتلى الناس بوخامتهن ويخطئن بلدا فيسلمون منها.

أما أماكن الفتنة بمعنى الأماكن التي تنطلق الفتنة منها فتحدّث أمير المؤمنين عليه السلام في عموم الفتن – لا الفتن الخاصة – أن لها أماكنَ يجب تجنبها ، منها الأسواق ، فقال في كتابه إلى الحارث الهمْداني: "**وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ.**"[٥١]

شرح الشيخ محمد جواد مُغنية هذه العبارة فقال: لأن فيها سمسرات ومساومات، وغشّا وربا، وبذاءات وخصومات على الحقير واليسير من متاع الدنيا.."[٥٢]

---

[٤٦] . الخطبة رقم ٩٢
[٤٧] . الخطبة رقم ٢
[٤٨] . الحكمة رقم ٣٦١
[٤٩] . الخطبة ١٨٧
[٥٠] . الخطبة ٩١
[٥١] . الكتاب رقم ٦٩
[٥٢] . مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ج ٤ ص ١٨٣

ويُمكن أن نقول أيضاً: إن الأسواق تكون محضراً للشيطان ومعرضاً للفتن لكثرة التقاء الناس فيها وتواجدهم ، ولأنها أيضاً في ذلك الوقت أماكن نشر الأخبار والمعلومات ، فالأسواق تمثّل الجهاز الإعلامي في هذا العصر، وعليه فالإعلام في عصرنا الحاضر يكون صانعاً للفتن ومروجاً لها من خلال هذه المساحة الواسعة التي يعمل فيها.

البصرة مغرس الفتن ؟

" اِعْلَمْ أَنَّ اَلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ اَلْفِتَنِ "[٥٣]

قد نتساءل ونحن نقرأ هذا النص في نهج البلاغة عن سرّ هذا التعبير للإمام عليه السلام وهذا الوصف للبصرة؟

هذا التعبير جاء في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعبد الله بن العباس وكان عامله على البصرة:

"اِعْلَمْ أَنَّ اَلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ اَلْفِتَنِ فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَاُحْلُلْ عُقْدَةَ اَلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَغِلْظَتُك عَلَيْهِمْ ..."

وهذا كناية عن كثرة الحوادث والفتن التي تعصف بهذا المكان ، فهذا التعبير لا يعني أنّ البصرةَ تكويناً أرض تصدّر الفتن ولا تنفك عن الفتن ، ولو كانت كذلك لنصحه بتركها وعدم السكن فيها.

ولذا فسّر الشارحون للنهج هذا التعبير بالكناية عن كثرة الفتن التي تشهدها.

قال الشيخ ابن ميثم البحراني في شرحه: " واعلم أنّه كنّى بكون البصرة مهبطَ إبليس عن كونها مبدأ الآراء الباطلة والأهواء الفاسدة الصادرة عن إبليس المستلزمة لإثارة الفتن وكثرتها لأن مهبِط إبليس ومستقرّه محلٌّ لذلك .."[٥٤]

وهذا أيضاً ما فسّر به الشيخ محمد جواد مغنية العبارة ، فقال:

كناية عن كثرة ما يحدث فيها من فتن وضلال ، وانها ملجأ لمن يفسد في الأرض ، ويخرج على النظام . . وفيها حدثت أول فتنة كبرى في الإسلام حيث استقبلت الجمل وأصحابه ، وحاربت تحت لوائه ، وجرأت أهل الشام على شق العصا.

قيل: ويروى (مُعَرَّس الفتن) ، من (التعرّس) وهونزول القوم ليلا للاستراحة، و(المعرَّس) مكان ذلك.

وفي منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي ره : "وقوله عليه السّلام أنّها مهبط إبليس يحتمل وجوها :

---

[٥٣] الكتاب رقم ١٨

[٥٤] . البحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٩٥

منها أن تكون فيه اشارة إلى قوله تعالى لإبليس : (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنّك من الصّاغرين) (الأعراف ١٤) وقوله تعالى : (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين) (الأعراف ٢٥)، بأنّ إبليس لمّا اخرج من الجنّة وهبط إلى الأرض كانت أرض البصرة مهبطه ولكنّ الإنصاف أنّ الكلام يأبى عن هذا الوجه، وكلمة مهبط لا تدلّ عليه لأنّها أعمّ من ذلك ...

ومنها أن تكون فيه اشارة إلى أنّها مهبط قوم تعلّق إبليس بهم فغرسوا اصول الفتن في أراضي قلوبهم ، وبذروا حبوب آراء رديّة فيها حتّى أثمرت ما أثمرت ففيه إشارة إلى هبوط جند المرأة وأتباع البهيمة فيها ، وإذا تأمّلت فيما جرى على أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام منذ خلافته الظاهرية إلى شهادته كلّها مولّدة من هبوط القوم في البصرة فإنّه أثار فتنة الجمل ، وهي ولّدت وقعة صفّين ، وهي ولّدت وقعة نهروان ، وهي ولّدت أمر شهادته عليه السّلام فهم غرسوا بهبوطهم فيها شجرة خبيثة أثمرت هذه الثمار السوء فكانت البصرة لذلك مهبط إبليس ومغرس الفتن ."[٥٥]

المحور الرابع: التعامل الصحيح مع الفتنة

لم يختصر سيد الوصيين عليٌّ عليه السلام في حديثه عن الفتنة على بيان مخاطرها ومناشئها والتحذير منها وتوضيح خصائصها وسماتها دون الحديث عن طرق مواجهة الفتنة وبيان المنهج الدقيق في التعامل معها بغية التغلّب عليها والخلاص منها.

ومن أهم ما أكّد عليه عليه السلام في النجاة من الفتنة هو:

١- تقوى الله

تقوى الله منجاةٌ من الفتن ، تهب للإنسان رؤية واضحةً للأمور حيث تصعب الرؤية ويتعسر التشخيص ، قال تعالى : (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**) (العنكبوت : ٦٩)

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : "**وَاِعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اَللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ اَلْفِتَنِ وَنُوراً مِنَ اَلظُّلَمِ** .."[٥٦]، ونقرأ في الخطبة رقم (٥٠): "**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ اَلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ.. فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي اَلشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُواَلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اَللَّهِ اَلْحُسْنَى**"، وقال عليه السلام: "**إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلاَتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهاتِ**"[٥٧]

فالتقوى مَنجاة وملجأ كما يعبّر عنها الحسين عليه السلام:

---

[٥٥] . الخوئي، حبيب الله ، منهاج البراعة في شرح نهج ا لبلاغة، ج ١٨ ص ٣١٥
[٥٦] . الخطبة رقم ١٧٨
[٥٧] . الخطبة رقم ١٦

فما لك غيرُ تقوى الله حرزٌ ولا وَزَرٌ وما لك من غياثِ[٥٨]

٢- الدعاء

الدعاء سلاحٌ ودرع يواجه به الإنسان الفتن والبلاء، يقول عليه السلام : "**سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ.**"[٥٩]

وفي نهج البلاغة هناك أكثر من دعاء يتعوّذ فيه أمير المؤمنين عليه السلام من الفتن:، ففي الدعاء الذي كان عليه السلام يدعو به كثيراً كما يقول الشريف الرضي رحمه الله، يقول عليه السلام: "**اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ أَوأَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ...**"[٦٠]

وفي دعاء آخر: "**اَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلاَ تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقَكَ وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَأُفْتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ اَلْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ .**"[٦١].

وهذا الدعاء واردٌ في أدعية الصحيفة السجادية في دعاء مكارم الأخلاق ، ولا مانع أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يقرأ من أدعية جدّه أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي دعاء آخر يعلّمنا أمير المؤمنين عليه السلام دقائق في الدعاء في الفتن ، فيقول: "**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ اَلْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلاَّ وَهُوَمُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنِ اِسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلاَّتِ اَلْفِتَنِ فَإِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ وَاِعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ.** "[٦٢] ، وأيضاً في الدعاء في دفع الفتنة: "**اَللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَأَهُ وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَآتِهِ اَلْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ اَلسَّنَاَ وَاَلْفَضِيلَةَ وَاُحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَادِمِينَ وَلاَ نَاكِبِينَ وَلاَ نَاكِثِينَ وَلاَ ضَالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ وَلاَ مَفْتُونِينَ**"[٦٣] .

وكان مما دعا به عندما عزم على لقاء القوم بصفين: "**اَللَّهُمَّ رَبَّ اَلسَّقْفِ اَلْمَرْفُوعِ وَاَلْجَوِ اَلْمَكْفُوفِ... إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا اَلْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا اَلشَّهَادَةَ وَاِعْصِمْنَا مِنَ اَلْفِتْنَةِ..**"[٦٤]

وفي صلاة الاستسقاء كان من دعائه: "**نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا اَلْمَضَايِقُ اَلْوَعْرَةُ وَأَجَأَتْنَا اَلْمَقَاحِطُ اَلْمُجْدِبَةُ وَأَعْيَتْنَا اَلْمَطَالِبُ اَلْمُتَعَسِّرَةُ وَتَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا اَلْفِتَنُ اَلْمُسْتَصْعَبَةُ ...**"[٦٥]

---

[٥٨] . لجنة الحديث في معهد الإمام الباقر ع، موسوعة كلمات الإمام الحسين ع، ص ٩٨٤
[٥٩] . الحكمة رقم ١٣٨
[٦٠] . الخطبة رقم ٢١٥
[٦١] . الخطبة رقم ٢٢٥
[٦٢] . الحكمة :٩٣
[٦٣] . الخطبة رقم ٧٢
[٦٤] . الخطبة رقم ١٧١
[٦٥] . الخطبة رقم ١٤١

٣ – سفن النجاة

شبّه أمير المؤمنين سلام الله عليه الفتنَ في أكثر من موضع في نهج البلاغة بالبحر المتلاطم الأمواج، فقال عليه السلام: "**عُقِدَتْ راياتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ.**"[٦٦]

وقال عليه السلام : "**وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ.**" [٦٧]

وقال عليه السلام في كتابه لمعاوية: **وَأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيرا، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلاَطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ..**"[٦٨]، **وقال عليه السلام : "قَدْ خاضُوا بِحارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ ..**"[٦٩]

فإذا كانت الفتنُ بحاراً متلاطمة الأمواج فلا بد من منجى ومن سفينة نجاة، سفينةٍ تقوى على المواجهة ، ولذا قال للعباس وأبي سفيان عندما طلبا أن يبايعا له بالخلافة : "**أَيُّهَا اَلنَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ اَلْفِتَنِ بِسُفُنِ اَلنَّجَاةِ وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ اَلْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تِيجَانَ اَلْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِاسْتَسْلَمَ ..**"[٧٠]

ولكن ما هي سفن النجاة؟

سفن النجاة كلُّ ما من شأنه أن يُنجي من الفتنة ، فنبينا الكريم صلّى الله عليه وآله سفينة نجاة من الفتن، قال في ذلك عليه السلام: "**وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ**"[٧١]، وقال عليه السلام:" **بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ ... فَبَالَغَ صلّى اللهُ عليه وآله فِي اَلنَّصِيحَةِ وَمَضَى عَلَى اَلطَّرِيقِ وَدَعَا إِلَى اَلْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ اَلْحَسَنَةِ...**"[٧٢]

وما تركه الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله فيه النجاة من هذه الفتن العمياء حيث قال: تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فالقرآن الكريم عاصم من الفتن وسفينة للنجاة ، وأهل البيت عليهم السلام سفينة نجاة كما وصفهم بذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وفي هذا المعنى نجد الكثير من نصوص نهج البلاغة تتحدث عن القرآن الكريم كهادٍ ومرشدٍ ومنجٍ، قال عليه السلام: "**وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لا تَفْنى عَجَائِبُهُ، وَلا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلا**

---

[٦٦] . الخطبة ١٠١
[٦٧] الخطبة رقم ١٤٦
[٦٨] . الكتاب رقم ٣٢
[٦٩] . الخطبة رقم ١٥٤
[٧٠] . الخطبة رقم ٥
[٧١] . الخطبة رقم ١٤١
[٧٢] . الخطبة رقم ٩٥

بِـهِ."[٧٣]، وقال عليه السلام أيضا: "**وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ، وَما جالَسَ هَذا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إلا قامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أَونُقْصانٍ: زِيادَةٍ فِي هُدىً، وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمىً.**

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فاقَةٍ، وَلا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً، فاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَالْكُفْرُ وَالنِّفاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلالُ ..."[٧٤]

وأهل البيت عليهم السلام أعلام هدى وسفن نجاة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام من الخطبة (٩٧):

اُنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا."

وقال عليه السلام: "**فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلاَمُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.**"[٧٥]

وقال في موضعٍ آخر: "**نَحْنُ الشِّعارُ وَالْأَصْحابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوابُ، وَلا تُؤ تَى الْبُيُوتُ إلا مِنْ أَبْوابِها، فَمَنْ أَتاها مِنْ غَيْرِ أَبْوابِها، سُمِّيَ سارِقا.**"[٧٦]

فأهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة بنص الحديث الوارد عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى.

هُم السفينةُ فاز الراكبون بها ومن تخلّف عنها تاه في التيهِ

وآية الرجس والتطهيرِ نازلةٌ في حقّهم ما تلا القرآنَ تاليهِ

الجدّ جدُّهمُ والبيتُ بيتهمُ وصاحب البيت أدرى بالذي فيه [٧٧]

٤- موقف الحياد

في الفتنة التي تتصارع فيها قوى الباطل على المؤمن أن يلتزم الحياد ويبقى بعيداً عن حلبة الصراع ، ولا يُمكّن قوى الباطل المتصارعة أن تستفيد منه أبداً ، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في حكمته الشهيرة:

---

[٧٣] . الخطبة رقم ١٨

[٧٤] . الخطبة رقم ١٧٦

[٧٥] . الخطبة رقم ٨٧

[٧٦] . الخطبة رقم ١٥٤

[٧٧] . البغدادي ، عبد اللطيف، الشفا ء الروحي ص ١٥٥

"**كُنْ فِي اَلْفِتْنَةِ كَابْنِ اَللَّبُونِ لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَلاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ**"[٧٨].

ومعناه: أن ابن اللبون وهوولد الناقة وقد أكمل السنتين ودخل في الثالثة لا يُستفاد منه في هذه الفترة فهولا يصلح للركوب لضعفه ، ولا يُحلب لأنه ليس بأُنثى.

قال ابن أبي الحديد : أيام الفتنة هي أيام الخصومة بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة ، كفتنة عبد الملك وابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج وابن الأشعث ، وأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين"[٧٩].

لقد كان أبوموسى الأشعري والياً على الكوفة فكان يخذّل أهلها عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل ويقول لهم إنها فتنة ، كما أخبر عن ذلك الإمام نفسه في إحدى خطبه: **وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اَللَّـهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ ..**"[٨٠]

إذن فموقف الحياد لا يكون مع وجود الحق بل إذا كان الصراع صراع باطل بكلا طرفيه.

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: قال أبومخنف: وقام رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أي فتنة أعظم من هذه! إن البدرية ليمشي بعضُها إلى بعض بالسيف!

فقال عليّ عليه السلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها والذي بعث محمداً بالحق وكرم وجهه ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي ولا زللت ولا زل بي وإني لعلى بينةٍ من ربي بينها الله لرسوله وبينها رسوله لي.."[٨١]

٥- توقي الوقوف بوجه الفتنة

قال عليه السلام في الخطبة رقم ١٨٥: "**أَيُّهَا اَلنَّاسُ ... وَلاَ تَقْتَحِمُوا مَا اِسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ اَلْفِتْنَةِ وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَخَلُّوا قَصْدَ اَلسَّبِيلِ لَهَا فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا اَلْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ اَلْمُسْلِمِ** ." وقال في موضع آخر: "**مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ ..**"[٨٢]

٦- التصدي للفتنة يحتاج إلى مؤهلات وقوة وحزم

للفتنة من الشراسة والقوة ما يستدعي أن يتحلّى المتصدي لها بمؤهلات وطاقات وقوة وبصيرة لكي يتمكن من مواجهتها، نلمح هذا المعنى ونحن نطالع كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام بعد فتنة الخوارج حيث قال: " **أَمَّا بَعْدُ**

---

[٧٨] . الحكمة رقم ١
[٧٩] . المعتزلي ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨ ص ٨٢
[٨٠] . الخطبة رقم ٢٣٨
[٨١] المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٦٥
[٨٢] . الخطبة رقم ١٥١

أَيُّهَا اَلنَاسُ فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ اَلْفِتْنَةِ وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاِشْتَدَّ كَلَبُهَا فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ... "[٨٣]

٧- ضرب الفتنة في العمق

القضاء على الفتنة لا يتمّ إلا بضربها في مقاتلها ، فضرب الأطراف مع بقاء الرأس سالماً يُمكّن الفتنة من الاستمرار ، هذا ما نستوحيه ونحن نقف عند تعبير الإمام عليه السلام في الضربة القاصمة التي وجهها للخوارج: "**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا اَلنَّاسُ فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ اَلْفِتْنَةِ ...**"[٨٤]

وكان يقول في حرب صفين : "**وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدا وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللّ"هُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْم الَكُمْ.**"[٨٥]

فكان يُشير إلى خيمة معاوية إلى أنها عينُ الفتنة ومركزها، كما كان يُشير إلى الجمل في معركة الجمل ويقول: اعقروا الجمل ...

يقول ابن أبي الحديد : "ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل والأيدي تطيح من المعاصم وأقتاب البطن تندلق من الأجواف وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل حتى لقد صرخ ع بأعلى صوته ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان ثم قال اعقروه وإلا فنيت العرب لا يزال السيف قائما وراكعا حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض فصمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد فلما برك كانت الهزيمة"[٨٦].

ويقول ابن أبي الحديد: .. وأمر علي ع بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح وقال عليه السلام: لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم قرأ: **وَاُنْظُرْ إِلى إِلهِكَ اَلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اَلْيَمِّ نَسْفاً.**"[٨٧]

لقد تحوّل الجملُ إلى فتنة كما صار عجل بني إسرائيل فتنة كما يُخبر القرآن الكريم عن ذلك: **قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ** (طه : ٨٥)

٨- الوعي والبصيرة

---

[٨٣] . الخطبة رقم ٩١
[٨٤] . الخطبة رقم ٩٣
[٨٥] . الخطبة رقم ٦٦
[٨٦] . المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٥٣
[٨٧] . المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٦٦

عندما يمتلكُ الإنسانُ وعياً وبصيرةً ثاقبة لا تهجمُ عليه الفتن، وسيُملي عليه وعيُه ونظرتُه الدقيقة للأُمور الموقفَ السليم.

في الحكمة رقم ٢٦٨: "**وَقِيلَ إِنَّ اَلْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَاهُ عليه السلام فَقَالَ لَهُ أَتَرَانِي أَظُنُّ أَنَّ أَصْحَابَ اَلْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلاَلَةٍ فَقَالَ عليه السلام يَا حَارِثُ حَارِ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ اَلْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ أَهْلَهُ وَلَمْ تَعْرِفِ اَلْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ فَقَالَ اَلْحَارِثُ فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اَللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ عليه السلام إِنَّ سَعْداً سَعِيداً وَعَبْدَ اَللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا اَلْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلاَ اَلْبَاطِلَ**".

الخوارج المثال الواضح لغياب الرؤية الواضحة والبصيرة التي تؤمِّن لصاحبها الموقف السليم في الأزمات، لنقرأ كلامَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام معهم ليتوضح لنا كيف غاب الوعي والبصيرة من الخوارج:

ومن كلام له ع قَالَهُ لِلْخَوارِجِ، وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى إِنْكَارِ الْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَلَيهِ الْسَّلام : أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ.

قَالَ عليه السلام: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْها فِرْقَةً، حَتَّى اءُكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلامِهِ.

وَنادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ع بِكَلامٍ طَوِيلٍ مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قَالَ عليه السلام :

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْرا وَخَدِيعَةً : إِخْوانُنا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقالُونا، وَاسْتَراحُوا إِ لَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ، فَقُلْتُ لَكُمْ: هذا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمانٌ وَباطِنُهُ عُدْوانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهادِ بِنَواجِذِكُمْ، وَلا تَلْتَفِتُوا إِ لى نَاعِقٍ نَعَقَ إِ نْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ.

وَقَدْ كَانَتْ هذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوها، وَاللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُها ما وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُها، وَلا حَمَّلَنِي اللَّهُ ذَنْبَها، وَوَاللَّهِ إِنْ جِئْتُها إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتابَ لَمَعِي ما فارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ، فَلَقَدْ كُنّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِه وَإِ نَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الْآباءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوانِ وَالْقَرابات، فَما نَزْدادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِ لا إِيمانا، وَمُضِيّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيما لِلْأَمْرِ، وَصَبْرا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ.

وَلَكِنّا إنّما أَصْبَحْنا نُقاتِلُ إِخْوَانَنا فِي الْإِسْلامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فإ ذا طَمِعْنا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِها شَعَثَنا وَنَتَدانَى بِها إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيما بَيْنَنا، رَغِبْنا فِيها، وَأَمْسَكْنا عَمّا سِواها."[٨٨]

المحور الخامس: آثار الفتنة

الفتنة كالإعصار المدمّر الذي يخلّف الخراب والدمار ، نعم تختلف آثار الخراب تبعاً لقوة الإعصار ومدة بقائه ، وهكذا الفتنة فيما تتركه من آثار ونتائج ، فللفتنة آثارٌ وخيمة ونتائج فظيعة كما يعبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: "**وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ** "[٨٩]، ويصف آثارها بأنها واضحة بيّنة يصعب محوها : "**شِبَابُهَا كَشِبَابِ اَلْغُلاَمِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ اَلسِّلاَمِ ..**"[٩٠]

وعند الوقوف عند كلمات أمير البيان ومرشد الإنسان في نهج البلاغة سنكتشف نتائج وخيمة للفتنة، فمن آثارها ونتائجها:

١- تساقط الكثير في الفتنة

قال عليه السلام: **فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اِسْتِقَامَةٍ وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ**"[٩١] ، وقال عليه السلام : " **يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا اَلْوُحْدَانُ وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا اَلرُّكْبَانُ..**"[٩٢]

٢- تمايز الناس

الفتنة تميّز وتغربل وتفرز الناس، قال عليه السلام : "**أَلاَ وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اَللَّهُ نَبِيَّهُ [نَبِيَّكُمْ] صلّى الله عليه وآله وَاَلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ اَلْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا..**"[٩٣]

٣- انثلام الدين

من الفتنة ما يضرُّ بدنيا المرء، ومنها ما يضرُّ بدينه، وهي عند ذاك من شرّ الفتن ، ولذا كان يتعوّذ منها أمير المؤمنين عليه السلام: " **اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ أَو أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ..**"[٩٤]

---

[٨٨] . الخطبة رقم١٢١
[٨٩] . الخطبة رقم ١٥١
[٩٠] . الخطبة رقم ١٥١
[٩١] . الخطبة رقم ١٥١
[٩٢] . الخطبة رقم ١٥١
[٩٣] . الخطبة رقم ١٦
[٩٤] . الخطبة رقم٥ ٢١

ولذا تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عما تفعله الفتنة بالدين، فقال: "**وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ**"[٩٥]، ففي الفتنة تشيع البِدع وتهجر السنن: **قَدْ خاضُوا بِحارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ...**" ، وقال عليه السلام: **إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ**"[٩٦].

وقال وهو يصف حالة الناس قبل بعثة النبيّ صلّى الله عليه وآله:

"**وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ فَالْهُدَى خَامِلٌ وَالْعَمَى شَامِلٌ عُصِيَ الرَّحْمَنُ وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ وَخُذِلَ الْإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ وَعَفَتْ شُرُكُهُ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ.**"[٩٧]

٤- إثارة الحروب

قال عليه السلام : "**وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ..**"[٩٨] والدم العبيط: الطري الخالص.

ويقول عليه السلام: "**عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَها بِأَبْنَائِها، وَماجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْواجِها وَبَدا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُها، وَمِنَ اللَّيالِي كُدُوحُهَا**"[٩٩].

٥- تقطع الروابط الاجتماعية

الفتنة تربك المجتمع في كلّ مجالاته، بما فيه المجال الاجتماعي، فالعلاقات بين الناس تشهد تعكر صفوها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "**تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ**"[١٠٠]

ونلحظ أثر فتنة المال في تشويه العلاقات الاجتماعية حيث تقاس الأواصر الاجتماعية بين الناس بالمقياس الدنيوي والمنظار المصلحي، نلمح ذلك في دعائه عليه السلام : "**اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسارِ، وَلا تَبْذُلْ جاهِي**

[٩٥] . الخطبة رقم ١٥١
[٩٦] . الخطبة رقم ٥٠
[٩٧] . الخطبة رقم ٢
[٩٨] . الخطبة رقم ١٥١
[٩٩] . الخطبة رقم ١٠١
[١٠٠] . الخطبة رقم ١٥١

بِالْإِقْتارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرارَ خَلْقِكَ، وَأَبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَراءِ ذلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[١٠١].

وبهذا الدعاء الجليل نختم البحث ونسأله جلّ شأنه أن يختم لنا عواقبنا بخير ويكفينا شر الفتن، ويبصرنا الحق فيها، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن منظور، لسان العرب، أدب الحوزة، إيران . قم، محرم ١٤٠٥هـ.
٢. البحراني، ابن ميثم، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران . قم، الطبعة الأُولى، ١٣٦٢ش.
٣. البغدادي، عبد اللطيف، الشفاء الروحي، د ت ط.
٤. الجوهري، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
٥. الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: إبراهيم الميانجي، مطبعة الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، بلا تأريخ.
٦. عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، إيران . قم، ١٤١٢هـ . ١٣٧٠ش.
٧. لجنة الحديث في معهد الإمام الباقر ع، موسوعة كلمات الإمام الحسين ع، دار المعروف للطباعة والنشر، إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م.
٨. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعليان، إيران . قم، د ت.
٩. مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، انشارات كلمة الحق، إيران ، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

[١٠١] . الخطبة رقم ٢٢٥